

جَدْعُونُ .. جَبَّارُ الْبَّاسِ

(Arabic – Gideon, the mighty warrior.)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: جَدْعُونُ.. جَبَّارُ الْبَّاسِ

ومن سفر القضاة الأصحاح السادس نقرأ العَدَدَ الثاني عشر:

" فَظَهَرَ مَلَكَ الرَّبِّ لَجَدْعُونٍ وَقَالَ لَهُ: الرَّبُّ مَعَكَ يَا جَبَّارُ الْبَّاسِ".^١

لم يُصَدِّقْ جَدْعُونُ نَفْسَهُ وَهُوَ فِي أَشَدِّ حَالَاتِ الْيَأْسِ وَالْفَتَلِ. أَنْ يُقَالَ لَهُ: "يَا جَبَّارُ الْبَّاسِ". كَيْفَ أَنْ مَلَكَ مَبْعُوثًا مِنَ السَّمَاءِ يَأْتِي إِلَيْهِ وَيَسْتَهْلُ حَدِيثَهُ بِقَوْلِهِ لَهُ: "الرَّبُّ مَعَكَ". فِي حِينِ آتِهِ وَالشَّعْبُ فَقَدُوا كُلَّ رَجَاءٍ وَأَمَلٍ. كَيْفَ أَنْ الرَّبَّ يَكْلِفُ نَفْسَهُ مَشْفَقَةَ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ. وَشَعْبُهُ قَدْ اسْتَحْسَنُوا وَاسْتَمْرَأُوا فِعْلَ الشَّرِّ فِي عَيْنَيْهِ. إِنَّهَا قِصَّةٌ قَدِيمَةٌ تَوَارَثُهَا جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ. عَنِ الْإِلَهِ الْعَظِيمِ صَانِعِ الْمُعْجَزَاتِ مَعَ شَعْبِهِ. وَهَيْهَاتَ أَنْ يَعُودَ الْمَاضِي الَّذِي وَلِيَ. إِنَّهُمْ يَعِيشُونَ حَاضِرَهُمْ بِجَرْتُونَ أَحْلَامَ مَاضِيهِمْ. فَمَاذَا يَنْفَعُ تَارِيخَ حَافِلٍ بِالْأَمْجَادِ. لِشَعْبٍ مُسْتَعْبِدٍ مَغْلُوبٍ عَلَى أَمْرِهِ.^٢

لَقَدْ كَانَتْ مُفَاجَأَةٌ لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهَا جَدْعُونُ حِينَ ظَهَرَ لَهُ مَلَكَ الرَّبِّ قَائِلًا لَهُ: "الرَّبُّ مَعَكَ يَا جَبَّارُ الْبَّاسِ". كَانَ جَدْعُونُ فِي الْحَقْلِ يَقُومُ بِإِعْدَادِ الْحِنْطَةِ عَسَاءَهُ يُهَرَّبُهَا مِنْ أَعْدَائِهِ الْمِدْيَانِيِّينَ. وَيَأْتِي بِهَا خَفِيَّةً لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَعَشِيرَتِهِ. لَقَدْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعِيشُونَ وَقْتَهَا فِي كَهُوفٍ وَمَغَارَاتٍ. لِأَنَّهُمْ تَرَكَوا بُيُوتَهُمْ غَيْرَ الْأَمْنَةِ خَوْفًا مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ. فَقَدْ كَانُوا إِذَا زَرَعَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ زَرْعًا كَانَ الْمِدْيَانِيُّونَ وَالْعَمَالِقَةُ بَنُو الْمَشْرِقِ يَصْعَدُونَ عَلَيْهِمْ وَيَتَلَفُونَ الْأَرْضَ. وَلَا يَتْرَكُونَ لَهُمْ قُوتَ الْحَيَاةِ وَلَا غَنَمًا وَلَا بَقْرًا وَلَا حَمِيرًا. يَصْعَدُونَ بِمَوَاشِيهِمْ وَخِيَامِهِمْ وَيَجْبُونُ كَالْجَرَادِ فِي الْكثْرَةِ. صَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ مِنَ الذَّلِّ وَالْمَهَانَةِ وَسَمِعَ الرَّبُّ لِشَعْبِهِ الصَّارِخِ إِلَيْهِ. لَقَدْ سَمِعَ وَأَنْقَذَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ مُسْتَحْدِمًا عَبْدَهُ جَدْعُونًا. وَأَنْجَحَ الرَّبُّ جَدْعُونًا وَتَمَّ خَلَاصُ الشَّعْبِ وَتَحَرَّرَ مِنْ ظَلَمٍ وَمَهَانَةٍ أَعْدَائِهِ لَهُ.^٣

وَمِنْ قِصَّةِ "جَدْعُون" ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي دَعَاهُ مَلَكَ الرَّبِّ "جَبَّارُ الْبَّاسِ" نَسْتَخْلِصُ حِكْمًا وَعِبْرًا نَوْجَهَا فِي خَمْسِ:

أولاً: لِمَاذَا سَمَحَ اللَّهُ بِالْمَدْلَةِ وَالْمَهَانَةِ لِشَعْبِهِ؟.. لَقَدْ أَصْنَعَدَ الرَّبُّ أَجْدَادَهُمْ مِنْ مِصْرَ رَافِعًا عَنْهُمْ عُيُودِيَّةَ الْمِصْرِيِّينَ. فَلِمَاذَا أَتَى بِهِمْ إِلَى عُيُودِيَّةِ الْمِدْيَانِيِّينَ؟. إِنَّ الْأَصْحَاحَ السَّادِسَ مِنْ سِفْرِ الْقِضَاةِ يَبْدَأُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ: "وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيْ الرَّبِّ فَدَفَعَهُمْ لِيَدِ مِدْيَانَ سَبْعَ سِنِينَ". قَالَ الْحَكِيمُ فِي أَمْتَالِهِ: "لَأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ". لَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ نَلُومَ الْإِلَهَ الْمُحِبَّ إِذَا مَسَّنَا عَلَى الْجَمْرِ وَاكْتَوَتْ أَرْجُلُنَا بَلْ أَنْ نَلُومَ أَنْفُسَنَا. يَقُولُ سَلِيمَانُ الْحَكِيمُ فِي أَمْتَالِهِ: "أَيَاخُذُ إِنْسَانٌ نَارًا فِي حِضْنِهِ وَلَا تَحْتَرِقُ نِيَابُهُ أَوْ يَمْشِي إِنْسَانٌ عَلَى الْجَمْرِ وَلَا تَكْتَوِي رِجْلَاهُ؟". لَقَدْ اِكْتَوَتْ أَرْجُلُ شَعْبِ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا الشَّرَّ فِي عَيْنَيْ الرَّبِّ. فَسَمَحَ الرَّبُّ لِلْمِدْيَانِيِّينَ بِاسْتِعْبَادِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ تَأْدِيبًا لَهُمْ. فَلَيْتَنَا نَعْتَبِرُ حَتَّى لَا نَفْعَ تَحْتَ التَّأْدِيبِ بِتَمَرْدِنَا عَلَى اللَّهِ وَمَيْلُ قُلُوبِنَا نَحْوَ الْعَالَمِ الشَّرِّيرِ.^٤

ثانياً: لِمَاذَا اخْتَارَ اللَّهُ رَجُلًا كَجَدْعُونٍ مِنْ عَشِيرَةٍ هِيَ الْأَدْنَى؟. إِنَّ قَوْلَ الْمَلَكَ لَجَدْعُونٍ: "الرَّبُّ مَعَكَ يَا جَبَّارُ الْبَّاسِ". أثارَ دَهْشَتَهُ لِسَبَبِينَ: الْأَوَّلُ: لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ تَعْلِيلَ سَبَبِ الْبَلَايَا الْحَادِثَةِ لِشَعْبِهِ.. فَقَالَ جَدْعُونُ لِلْمَلَكَ: "أَسْأَلُكَ يَا سَيِّدِي إِذَا كَانَ الرَّبُّ مَعَنَا فَلِمَاذَا أَصَابْتَنَا كُلُّ هَذِهِ؟. وَأَيْنَ كُلُّ عَجَائِبِهِ الَّتِي أَخْبَرْنَا بِهَا آبَاؤُنَا؟. قَائِلِينَ: أَلَمْ يُصْعِدْنَا الرَّبُّ مِنْ مِصْرَ؟. وَالْآنَ قَدْ رَفَضْنَا الرَّبَّ وَجَعَلْنَا فِي كَفِّ مِدْيَانَ". لَقَدْ جَاءَ بِسِفْرِ حَبَقُوقَ: "عَيْنَا الرَّبِّ أَطَهَرُ مِنْ أَنْ تَنْتَظِرَا الشَّرَّ". إِنَّ مَا أَصَابَهُمْ كَانَ نَتِيجَةً لِغِمَاسِ الشَّعْبِ فِي الشَّرِّ. لِذَا فَلَا عَجَبَ. وَالْإِعْتِرَاضُ الثَّانِي لَجَدْعُونٍ كَانَ إِحْسَاسُهُ بِعَدَمِ كِفَاعَتِهِ عِنْدَمَا قَالَ الرَّبُّ لَهُ: "اذْهَبْ بِقُوَّتِكَ هَذِهِ وَخِصِّ إِسْرَائِيلَ مِنْ كَفِّ مِدْيَانَ أَمَا

^١ ، استمع إلى الإنجيل

^١ سفر القضاة ٦: ١٢

^٢ سفر الخروج ١٨: ٨ - ١١

^٣ سفر القضاة ٦: ٢ - ١٠

^٤ سفر الأمثال ٦: ٢٧ & ١٢: ٣ ، سفر القضاة ٦: ١

أرسلتك؟". فأجاب جَدْعُونُ بقوله: "بماذا أخلصُ إسرائيلَ. ها عَشيرتِي هي الذلي في مَنْسَى. وأنا الأصغرُ في بَيْتِ أبي". فقال له الرَّبُّ: "إني أكونُ معكَ. وستَضْرِبُ المديانيينَ كرجلٍ واحدٍ".^١

لقد اقتنع جَدْعُونُ بأنه غيرُ كفاء. وهو لا يعلمُ أن الله لا يختارُ مَنْ يَرى في نفسه الكفاءة. قال بُولسُ الرسولُ في رسالته الثانية إلى كورنثوس: "مَنْ هُوَ كَفُو لهذه الأمور؟". "ليسَ أُنَّا كفاة من أنفسنا. بل كفايتنا مِنَ الله الذي جعلنا كفاة". وقال في رسالته الأولى: "اختارَ الله جَهالَ العالمِ ليُخزى الحكماءَ. واختارَ الله أدنِياءَ العالمِ والمُزدرى وغيرَ الموجودِ ليُبطلَ الموجودِ. لكي لا يفتخرَ كلُّ ذى جسدٍ أمامه". لذلك اختارَ الله جَدْعُونُ. ليتنا نتعلمُ درسًا: أننا بقوتنا التي هي الضعْفُ بعينهِ جبارةُ البأس. ومَنْ يظنُّ أنه ضعيفٌ فليطمئن. لأنه جبارُ البأس. إن الرَّبَّ يقولُ لكلِّ ضعيفٍ خائرِ القوى: اذهبْ بقوتِكَ هذه. إني أكونُ معكَ. "فإن كانَ اللهُ معنا فمَنْ علينا؟".^٢

ثالثًا: لماذا رفضَ الرَّبُّ اثْنَيْنِ وثلاثينَ ألفَ مُتجِدِّدٍ؟.. قدّموا أنفسهم لجدعونَ واكتفى منهم ثلاث مائة رجلٍ. مع أن المديانيينَ كما جاء بالأصحاح السادس من سفر القضاة ليس لهمُ ولجمالهم عددٌ. إن ذلك العدد الوفيرُ من الرجال الذين قدّموا أنفسهم لجدعونَ. كانوا موجودين طيلة السنين السبع التي استعبدتهم فيها أعداؤهم المديانيون. فلماذا لم يدفعوا الظلم عنهم؟. فما حاجةُ الرَّبِّ بهم اليوم؟. إن الله لا يتدخلُ إن كان لدينا الوسائل التي بها نخلصُ أنفسنا. لقد أقامَ الرَّبُّ يسوعَ لعازرَ من القبر. ولكن قبل أن يقيمه طلب من الواقفين أن يقوموا بدورهم ويرفعوا الحجرَ الذي يتصدّرُ قبرَ لعازرَ فرفعوه. لقد استخدمَ الرَّبُّ الثلاثمائة رجلَ فقط. لئلا يفتخرَ الشعبُ على الرَّبِّ قائلًا: "يدي خلصتني". ليتنا نتعلمُ درسًا: وهو أن الإنسانَ الخاطيَ لا يستطيعُ أن يخلصَ نفسه من خطاياها. لأنه إن كنا قادرين على خلاص أنفسنا من الخطية. ما كانت هناك حاجة لأن يتجسد ابنُ الله لإدعاء البشرية. ولكن ما عجزنا عن إنجازهِ الرَّبُّ يسوعُ على صليبِ الجلجثة. ويُمكننا نواله بالإيمان.^٣

رابعًا: هل كانَ ضَرْبُ الأبواقِ وكسرُ الجرارِ سرَّ النصرِ؟.. لا. ولكن معيةَ الرَّبِّ لشعبه. وطاعة جَدْعُونُ ورجاله. واليقظة الكاملة في أمانة الرَّبِّ. وأنه سيكونُ معهم حسب وعدِهِ. هذا هو سرُّ النصرِ. ليتنا نضعُ نصبَ أعيننا وعدَّ الله لأتقيائه إذ قال: "أنا معكمُ كلَّ الأيامِ إلى انقضاءِ الدهرِ". ولقد قالَ الرَّبُّ يسوعُ بإنجيل يوحنا: "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا". إن الله قادرٌ أن يهبَ انتصارًا لثلاثمائة رجلٍ. كما باثنينِ وثلاثينَ ألفًا.^٤

خامسًا: لماذا رفضَ جَدْعُونُ أن يتسلطَ على الشعبِ؟.. مع أنه القائدُ الظافر الذي استخدمه الرَّبُّ لتحرير شعبه. اختاروه ليتسلطَ عليهم. إن الشعبَ بعدما إنفكت قيودُ عبوديته. وتحررَ من أغلالِ الذلِّ والمهانة التي كبله بها المديانيون. جاءوا إلى جَدْعُونِ وقالوا له: "تسلطْ علينا أنت وإبنك وإبنُ ابنك لأنك قد خلصتنا من يدِ مديان". فأجابهم قائلًا: "لا تسلطُ أنا عليكم ولا يتسلطُ ابني عليكم الرَّبُّ يتسلطُ عليكم". كان جَدْعُونُ جبارَ بأسٍ حقًا. فهذا هو شأنُ الجبابرة ذوى البأس. وهو أن يعطوا المجدَ لله ويَطرحوا تيجانهم عندَ أقدامِ العليِّ. الذي هو صاحبُ الملكِ والسلطان الذي لا شريكَ له. هو الذي تنحني أمامه كلُّ الجباه وتجنو كلُّ رُكبةٍ ويعترفُ كلُّ لسانٍ. كان جَدْعُونُ جبارَ البأس لأنه رفضَ عرضاً من شعبٍ انخدعَ بالمرئيات. لقد ظنوه الجديرُ بأن يتسلطَ عليهم. ولكن جَدْعُونُ أثارَ بصائرهم ليرَوْا ما لا تراهُ أبصارهم. ليرَوْا بعينَي الإيمان الرَّبِّ. ليتوجوه وحدهُ ملكاً على حياتهم.^٥

ليتكَ أخی تشتركُ معي في تلكِ الصلاة: أبانا السماوي.. لسنتُ أريدُ سواك ملكاً على حياتي. فأنت خالقِي وأنت من دبرِ أمرِ خلاصي. أنت حافِظِي من الشرِّ. ومرشِدي كلَّ الطريق. هبني حكمة. هبني قوة. أعطني كيِّ أعملُ ما يرضيك. وما يمجِّدُ اسمك العظيم. فأنت المستحقُّ لتجنو أمامك كلُّ رُكبةٍ. ويعترفُ كلُّ لسانٍ. أرفعُ صلاتي في اسمِ يسوعَ من حملِ عنيَّ عيباءِ خطاياي. وإيقاً بأنك مُستجيبٌ لصلاتي. يا مَنْ أنقذتني من الهلاكِ الأبديِّ. ووهبتني الحياةَ الأبدية. مؤمناً بصدقِ وعدِّك. يا مَنْ قلت: مَنْ يقبلُ إليَّ لا أخرجُه خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردتَ سماعَ تلكِ الرسالةِ أو غيرها ستجدُ ذلكَ في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر حبقوق ١: ١٣ ، سفر القضاة ٦: ١ & ١٣ - ١٦

^٢ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٢: ١٦ & ٣: ٥ - ٦ وفي رسالته الأولى ١: ٢٦ - ٣١ ، إلى مؤمنى رومية ٨: ٣١

^٣ سفر القضاة ٧: ٨ - ٢٣

^٤ إنجيل متى ٢٨: ٢٠ ، إنجيل يوحنا ١٥: ٥ ، سفر القضاة ٧: ٢٠

^٥ سفر القضاة ٨: ٢٢ - ٢٣ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٢: ١٠